الكتاب رقم (٤)

موسوعة تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

الصدق مع الله تعالى

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن التميمي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين



موسوعة:

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

الكتاب رقم (٤)

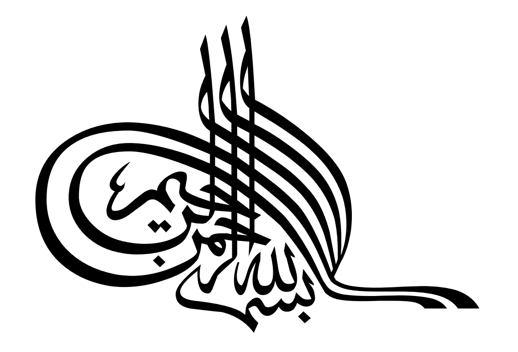
الصدق مع الله تعالى

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين





فهرس المحتويات





مُقَدِّمَة

الحمد لله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، والحمد لله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، والحمد لله أرسل رسله بالصدق وصدَقهم وصدّقهم، وأداهم على من خالف أمره وكذّب بالصدق لمّا جاءه. وتبارك الذي أَمَرَ بالصدق في النيّة والقول والعمل، وبِصُحبَةِ أهل الصدق إذ قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

أما بعد: فهذه حروف مما يسّره الله تعالى في بيان صدق القلب مع الله تعالى، وما يترتّب عليه من أمور طيّبة وآثارٍ صالحة ودين مستقيم، جعلنا الله جميعًا من الصدّيقين ووالدينا والمسلمين، آمين إله الحق. وصلى الله وسلم وبارك على من جاء بالصدق وصدّق به وعلى آله وصحبه أجمعين.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

٧/ ١٢/ ١٤٣٦

aldumaiji@gmail.com



التعريف

الصديقية هي المرتبة التالية للنبوة والسابقة للشهادة، ومعراجها الموصل هو رسوخ الصدق في القلب وإضاءة نوره على اللسان وظهور حلاوة ثماره على الجوارح.

«الصدق والتصديق والصديقية اشتقاقها واحد وهو الصدق، والصدق: ضد الكذب» قاله الأزهري(١).

وقال ابن فارس: «الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء، قولاً وغيره. ومن ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، وهو باطل؛ وأصل هذا من قولهم شيء صَدْقٌ أي صلب، ورمحٌ صَدْقٌ، ويقال: صدقوهم القتال، وفي خلاف ذلك: كذبوهم. والصِّدِّيق: الملازم للصدق»(٢). وقال الجوهري: «الصّدّيق الدائم التصديق، ويكون الذي يُصدِّقُ قوله بالعمل»(٣). وقال الراغب: «الصدق والكذب أصلهما في القول ماضيًا كان أو مستقبلاً، وعدًا كان أو غيره. ولا يكونان في القصد الأول إلا في القول. ولا يكونان في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام، ولذلك قال تعالى:

---

(١) معجم التهذيب (٢/ ١٩٩٠).

(٢) معجم المقاييس (٥٦٥).

(٣) الصحاح (٤/ ١٢٤٢).





﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤].

وقد يكونان بالعَرَض في غيره من أنواع الكلام، والصدق مطابقةُ القول الضمير والمُخبَر عنه معًا، ومتى تأخر شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًا، بل إما ألا يوصف بالصدق(١)، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمد رسول الله، فإن هذا يصح أن يقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك. ويصح أن يقال: كذب، لمخالفة قوله ضميره، وبالوجه الثاني إكذابُ الله تعالى المنافقين حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١].

والصّدّيق: من كثر منه الصدق(٢)، وقيل: بل يقال لمن لا يكذب قط، وقيل: لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق، وقيل: بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقّق صدقه بفعله، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

---

(١) وهذا ممتنع شرعًا، كما في حديث التأبير.

(٢) قال شيخ الإسلام: «يُقال: فلان صادق اللهجة؛ إذا تحرى الصدق، وإن كان قليل العلم بما جاءت به الأنبياء، وأبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مُدح بكونه صدّق الأنبياء، وليس بمجرد كونه صادقًا، وتصديقه للنبي ﷺ هو صدق خاص، فالمدح بهذا التصديق - الذي هو صدق خاص - نوع، والمدح بنفس كونه صادقًا نوع آخر. فكل صدّيق صادق، وليس كل صادق صدّيقًا». منهاج السنة (٤/ ٢٦٦).



[مريم: ٤١]، وقال: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩]، فالصديقون: هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة.

وقد يُستعمل الصدق والكذب في كل ما يحقُّ ويحصل في الاعتقاد، نحو صدق ظني وكذب، ويستعملان في أفعال الجوارح، فيقال: صدق في القتال إذا وفّى حقه وفعل ما يجب وكما يجب، وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك. وقال تعالى: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] أي حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم. وقال: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٨]، أي يسأل من صدق بلسانه عن صدق فعله تنبيهًا أنه لا يكفي الاعتراف بالحق دون تحرّيه بالفعل، وقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] أي سأل الله أن يجعله صالحًا بحيث إذا أثنى عليه من بعده لم يكن ذلك الثناء كذبًا، بل يكون كما قال الشاعر:

إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني»[1]

وقال الفيروز آبادي: «الصِّدْقُ: الشدة، ومصداق الشيء: ما يصدّقه»[2].

(١) المفردات (٢٨٠، ٢٨١).

(٢) القاموس (٩٧٠).





أقسام الصدق

أقسامه ثلاثة:

الأول: الصدق في الأقوال: وهو استواء اللسان على الأقوال؛ كاستواء السنبلة على ساقها.

الثاني: الصدق في الأعمال: وهو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة؛ كاستواء الرأس على الجسد.

الثالث: الصدق في الأحوال: وهو استواء القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الجهد والوسع، وبذل الطاقة.

فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه، وقيامها به، تكون صدّيقيته، ولذلك كان لأبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وأرضاه ذروة سنام الصدّيقيّة، وسُمِّي الصدّيق على الإطلاق، والصّديق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق(١).

(١) مدارج السالكين (٣/ ٧، ٨) بتصرف يسير.



متعلقات الصدق

وهي خمسة أشياء ذُكرت في القرآن العزيز: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

وحقيقة الصدق في هذه الخمسة: هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة.

الأول والثاني: مدخل الصدق ومخرجه: وهو أن يكون دخوله وخروجه حقًّا ثابتًا بالله، وفي مرضاته، متصلاً بالظفر بالبُغية وحصول المطلوب، ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها، كمخرج أعدائه يوم بدر. أما مخرج الصدق فكمخرجه ﷺ هو وأصحابه في تلك الغزوة.

وكذلك مدخله ﷺ المدينة كان مدخل صدق بالله، ولله، وابتغاء مرضاة الله، فاتصل به التأييد والظفر والنصر، وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة، بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب؛ فإنه لم يكن بالله ولا لله، بل كان محادّة لله ورسوله، فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار.

وكان بعض السلف إذا خرج من داره رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّٰهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجًا لا أكون فيه ضامنًا عليك. يريد: ألا يكون مخرج صدق.



وقد أمر الله تعالى رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، فقـــال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

الثالث: لسان الصدق: وهو الثناء الحسن الصادق ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ [مريم: ٥٠]، واللسان يراد به ثلاثة معانٍ: هذا، واللغة، والجارحة نفسها.

الرابع: قدم الصدق، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [يونس: ٢]، وقد فسر بالجنة، وفسر بمحمد ﷺ، وفسر بالأعمال الصالحة.

وحقيقة «القدم» ما قدّموه، وما يقدمون عليه يوم القيامة؛ فالمؤمن قدّم الأعمال والإيمان بمحمد ﷺ، ويقدمُ على الجنة التي هي جزاء ذلك، فالثلاثة قدم صدق.

الخامس: مقعد الصدق: وهو الجنة عند الرب تبارك وتعالى. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ووصف ذلك كله(١) بالصدق مستلزم لثبوته واستقراره، وأنه حق، ودوام نفعه وكمال عائدته؛ فإنه متصل بالحق سبحانه، كائن به وله، فهو صدق غير كذب، وحق غير باطل، ودائم غير زائل، ونافع غير ضار، وما للباطل ومتعلقاته سبيل إليه ولا مدخل(٢).

---

(١) المدخل والمخرج واللسان والقدم والمقعد للصدق.

(٢) المدارج (٣/ ٨-١٢) بتصرف.



مراتب الصدق

هي مراتب، أولها الصدق وأعلاها الصديقية. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ، مع كمال الإخلاص للمرسل»(١). قلت: وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ، فالله تعالى جعل مرتبة الصديق بعد النبي مباشرة وفوق الشهيد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ [النساء: ٦٩].

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدّيق؛ لأنه بالغ في الصدق. ثم هم أيضًا على درجات. وبيان ذلك:

الصدق الأول: صدق اللسان، وذلك لا يكون إلا في الأخبار، أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه، ويدخل فيه الوفاء بالوعد والعهد، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها.

وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه، فلا يتكلم إلا بالصدق، ولهذا الصدق كمالان:

---

(١) المدارج (٣/ ٨).



أحدهما: الاحتراز عن المعاريض، فقد قيل: في المعاريض مندوحة[١] عن الكذب، وذلك لأنها تقوم مقام الكذب، إذ المحذور من الكذب تفهيم الناس على خلاف ما هو علم في نفسه، إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الأحوال، وفي تأديب الصبيان ونحوهم. وفي الحذر من الظلمة، وفي قتال الأعداء والتحرز من اطلاعهم على الأسرار، فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصِدْقُهُ فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين[٢]، فإذا نطق به فهو صادق، وإن كان كلامه مُفهِمًا غير ما هو عليه؛ لأن الصدق ما أريد لذاته، بل للدلالة على الحق والدعاء إليه، فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه[٣].

---

(١) أي مخرج ومفر. والمعاريض وتسمى التورية: هي الإخبار عن الشيء بما يوهم السامع أن المراد غيره، كمن قال عند الحاجة: إن فلانًا ليس هنا، ويشير إلى كفه أو جيبه، ويفهم مخاطبه أنه ليس في داره، ونحو ذلك. وهذا باب واسع من مجازات اللغة.

(٢) أي إن هذا لا ينقص من مرتبته في الصدق البتة، أما إن كان لحاجة نفسه فهذا مع جوازه إلا أنه ليس المقام الكامل للصديقية.

(٣) كما استعمله النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر حين قال للأعرابي: **«نحن من ماء»** الروض الأنف (٥/٩٣). أما توريته للعجوز بأن الجنة لا يدخلها عجوز، أو للأعرابي حين قال: **«إنا حاملوك على ولد الناقة»** رواه أحمد (١٣٨١٧) والترمذي (١٩٩١)، فهذا ونحوه من باب مباسطته لأصحابه وإدخال السرور عليهم لأنه أخبرهم في نفس المجلس بمراده، ولم يترتب على ذلك عمل مستقبل لهم. فهذا لون =

الكمال الثاني: أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي فيها ربه كقوله: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، فإن قلبه إذا كان منصرفًا عن الله تعالى، مشغولاً بأماني الدنيا وشهواته فهو كذب. وكقوله:

=

والتورية لغرض النفس لون آخر.

أما حديث جواز الكذب في ثلاث وهي الحرب، والإصلاح بين اثنين، وبين الزوجين (متفق عليه)، فرأى بعض أهل العلم إجراءه على المعاريض، ومنهم الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ. ويرى آخرون ومنهم ابن باز رحمه الله في تعليقه على إغاثة اللهفان جواز الكذب فيه صراحة بشرطين: ١.المصلحة. ٢ـ عدم الضرر على السامع. وهذا ظاهر الحديث. والاحتياط والورع حمله على الوجه الأول لأن أعظم هذه الثلاثة هي الحرب، مع ذلك فقد كان ﷺ يستخدم فيها المعاريض كما في حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ **«كان إذا أراد سفرًا ورّى بغيره»** متفق عليه، أي حينما يريد السفر جنوبًا يظهر السؤال عن أحوال جهة الشمال ونحوها ليوهم عدوه أنه ليس بقاصد إليه في الغزو حتى يأخذه على غرة، وإذا جازت المعاريض لم يجز الإقسام عليها فيما يظهر لحديث: «**يمينك على ما يصدقك به صاحبك**» رواه مسلم (١٦٥١)، والله أعلم. أورد ابن القيم في إغاثة اللهفان أمثلة عديدة على استعمال السلف للمعاريض.

فإن كانت المعاريض لغير حاجة ولا مصلحة راجحة فقد ذهب النووي لكراهتها (الأذكار ٢٨٠) وأفتى شيخ الإسلام بحرمتها كما في الاختيارات (٥٦٣). ولا شك أن استبراء العرض مأمور به شرعًا فإذا اطّلع الناس على خلاف ما فهموه من الكلام فهذا مدعاة لأن يتهموه بالكذب الذي هو أخص صفات المنافقين، لذلك فينبغي أن لا يتجاوز بالمعاريض الحاجة وأن تكون بحدود ضيقة، والله أعلم.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] وهو منكب على الدنيا ولم يتصف بحقيقة عبوديته لله تعالى، ونحو ذلك.

الصدق الثاني: في النية والإرادة. ويرجع ذلك إلى الإخلاص؛ وهو ألا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا لله تعالى، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل(١) صدق النية، وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبًا.

الصدق الثالث: صدق العزم. فإن الإنسان قد يقدّم العزم على العمل، فيقول في نفسه: إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه، أو بشطره، وإن لقيت عدوًّا في سبيل الله قاتلته ولم أبال إن قُتلت، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة صادقة جازمة، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة، فكان الصدق هنا عبارة عن التمام والقوة.

ومراتب الصديقين في العزائم تختلف، فقد يصادف العزم ولا ينتهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه، ولكن إذا خلي ورأيه لم يقدم، ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه، بل في الصادقين المؤمنين من لو خُيّر بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب من حياة أبي بكر الصديق.

الصدق الرابع: في الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال، إذ لا مشقة في الوعد والعزم، والمؤنة فيه خفيفة، فإذا حقّت الحقائق وحصل التمكن

(١) لو قال نقص كان أولى، ولعله راعى كمال الصدق والإخلاص، ويشهد لهذا ما ذكره في الصدق الثالث حين قال: فكان الصدق هنا عبارة عن التمام والقوة.



وهاجت الشهوات؛ انحلّت العزيمة وغلبت الشهوات، ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] كما فعل أنس بن النضر في أُحُد ومصعب بن عمير وغيرهما.

وقال مجاهد: رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود، فقالا: إن رزقنا الله مالاً لنتصدقن، فبخلوا به، فنزلت: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، فجعل العزم عهدًا، وجعل الخلف فيه كذبًا، والوفاء به صدقًا، وهذا الصدق أشد من الثالث؛ لأن النفس قد تكعّ عن الوفاء بالعزم بعد أن سخت به، لذلك استثنى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: لأن أُقدّم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر، اللّهم إلا أن تسوّل لي نفسي عند القتل شيئًا لا أجده الآن؛ لأني لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها. أشار بذلك إلى شدّة الوفاء بالعزم.

الصدق الخامس: في الأعمال. وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، لا بأن يترك الأعمال، ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر. وهذا مخالف لترك الرياء؛ لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك. ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره، ولكن قلبه غافل عن الصلاة، فمن ينظر إليه يراه قائمًا بين يدي الله تعالى، وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته، فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن

إعرابًا هو فيه كاذب، وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفًا بذلك الوقار، فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتًا إلى الخلق ولا مرائيًا إياهم، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره[١]، أو خيرًا من ظاهره، وأنشدوا:

إذا السرُّ والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عزّ في الدارين واستوجب الثَّنا
وإن خالف الإعلان سرًّا فما لـه ... على سعيه فضلٌ سوى الكدِّ والعنا
فما خالص الدينار في السوق نافقٌ ... ومغشوشه المردود لا يقتضي المُنى

وقال معاوية بن قرّة: من يدلني على بكّاءٍ بالليل، بسّامٍ بالنهار.

وقال عبد الواحد بن زيد: كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به، وإذا نهى عن شيء كان أترك الناس له، ولم أرَ أحدًا قطّ أشبه سريرة بعلانية منه. إذن فمساواة السر للعلانية أحد أنواع الصدق.

الصدق السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزّها؛ الصدق في مقامات الدين، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب، وسائر هذه الأمور، فإن هذه الأمور لها مبادٍ ينطلق الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق، والصادق المحقق من قال حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سُمّي صاحبه صادقًا فيه، كما يقال: فلان صدق القتال. ويقال:

---

(١) كما قيل: إذا كانت السريرة خيراً من العلانية فهو الفضل، وإن استوتا فهو العدل، وإن كانت العلانية خيرًا من السريرة فهو الوزر والجور.



هذا خوف صادق، وشهوة صادقة. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولنضرب للخوف مثلاً: فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفًا ينطلق عليه الاسم، ولكنه خوف غير صادق، أي غير بالغ درجة الحقيقة، أما تراه إذا خاف سلطانًا أو قاطع طريق في سفر كيف يصْفرُّ لونه، وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل الأُنس بالوحشة، وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار، كل ذلك خوفًا من درك المحذور. ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه. كما قيل: لم أر مثل النار نام هاربُها، ولا مثل الجنة نام طالبها. فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جدًّا، ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها، ولكن لكل عبد منها حظه بحَسَبِ حاله، إما ضعيف وإما قوي، فإذا قوي سُمي صادقًا فيه. فالعلم بالله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها، والصادق في جميع هذه المقامات عزيز جدًّا.

ثم درجات الصدق لا نهاية لها، وقد يكون للعبد صدق في بعض هذه الأمور دون بعض فإن كان صادقًا في الجميع فهو الصديق حقًّا. قال سعد بن معاذ: ثلاثة أنا فيهنّ قوي وفيما سواهن ضعيف: ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدّثت نفسي حتى أفرغ منها، ولا شيعت جنازة فحدثتني نفسي ما هي قائلة،



وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها، وما سمعت رسول الله ﷺ يقول قولاً إلا علمت أنه حق. فقال ابن المسيب: ما ظننت أن هذه الخصال تجتمع إلا في النبي عليه الصلاة والسلام. فهذا صدق في هذه الأمور، وكم قوم من جلّة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا الجنائز، ولم يبلغوا هذا المبلغ والله المستعان»[1].

❁❁❁❁

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٢/ ١٦٩٣-١٦٩٨) باختصار وتصرف.



مكانة الصدق وفضله

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] ووصف الله تعالى التنزيل بالصدق ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: ١١١] وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢] وجعل للصادقين موعدًا للسؤال ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٨] ووصف وعده بالصدق: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥] ووصف أهل البر بالصدق فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ووصف المتقين بخمس صفات، منها: الصدق، فقال: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، ومن آخر ما نزل من القرآن المائدة، وقد قال في خواتيمها: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقد مدحت الملائكة والأنبياء بالصدق ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]، ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ

﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

أما من السنة فقد مدح نبينا صلوات الله وسلامه هذه الخصلة وأعلى من شأن أهلها فقال: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدُقوا إذا حدثتم...**»[١]. وقال: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقًا**[٢]**، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»[٣]، وقال في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة: «**فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدعُ كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه...**»[٤]، وقال: «**دع ما يَريبُك إلى ما لا يَريبك**[٥]»،

---

(١) الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣).

(٢) دل على أن الصديقية لا تكون إلا بعد رسوخ الصدق في النفس وتحريه وتعاهده حتى يكون سجية وخلقًا.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه وهذا لفظ البخاري، أما مسلم فأورده بدون لفظ الصدق، والصدق هنا بمعنى الإخلاص، وبينهما عموم وخصوص، والصدق والإخلاص مع تقاربهما إلا أن الصدق هو الفرقان بين الإيمان والنفاق، أما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك. وانظر: ظاهرة الإرجاء (٤٣٨).

(٥) يروى بفتح الياء وضمها، وأصله من الارتياب وهو الشك.

فإن الصدق طُمأنينة، والكذب ريبة»(١).

وفي حديث أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما سأله هرقل: فبماذا يأمركم؟ ـ يعني رسول الله ﷺ ـ قال أبو سفيان: «قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة...»(٢)، لذا فمن بدايات دعوته عليه الصلاة والسلام الأمر بهذا الخلق الجليل الجميل، بل من صفاته وصفات كل الأنبياء الصدق، قالت خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث»(٣)، وقالت له قريش في قصة ندائهم وهو على الصفا: «ما جرّبنا عليك إلا صدقًا»(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام مبينًا أن مرتبة الصديقية مستلزمة لخصال أخرى نبيلة كعفاف اللسان: **«ولا ينبغي لصدّيق أن يكون لعّانًا»**(٥)، وقال في شأن الدعاء الصادق: **«من طلب**

---

(١) الترمذي (٢٥١٨) واللفظ له. وقال: حسن صحيح. والنسائي (٨/ ٣٢٧) بسند صححه محقق جامع الأصول. عن موسوعة نضرة النعيم. وقد استفدت منهم كثيرًا في هذا الكتاب، سواءً جمعهم الآيات والأحاديث والآثار والنقول في مكان واحد أو في تخريج الأحاديث، فلهم الشكر بعد الله تعالى. وأوصي كل خطيب أو محاضر أو باحث أن يقتني تلك الموسوعة النفيسة فإنها من ذخائر العلم المحقق.

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري (الفتح ٨/ ٤٧٧٠).

(٤) متفق عليه.

(٥) مسلم (٢٥٩٧).





الشهادة صادقًا، أُعطيها، ولو لم تصبه»[١]، وقال: **«من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»**[٢].

وقد امتثل الصحابة الأطهار هذا الخلق الرفيع، وامتزجت أجزاؤه بنفوسهم، وفي قصة الثلاثة الذين خلفوا فوائد جمة وثمرات جليلة لهذه الشيمة النبيلة[٣]، قال كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لما سأله رسول الله ﷺ عن تخلّفه: «يا رسول الله! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا؛ لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه[٤]، إني لأرجو فيه عُقبى الله[٥]، والله ما كان لي من عذر. والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: **«أما هذا فقد صدق. فقم حتى يقضي الله فيك»**، ثم كانت العاقبة؛ توبة الله عليه بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ حتى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٨، ١١٩]. قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من حديث

---

(١) مسلم (١٩٠٨).

(٢) مسلم (١٩٠٩).

(٣) وانظر كتاب (لله درك يا كعب!).

(٤) أي تغضب علي من أجله.

(٥) أي العاقبة الحسنة من الله، وتلمّح ثلج اليقين على فؤاده القريح.



رسول الله ﷺ»(١).

قال ابن القيم في تعليقه على خبر كعب: «ومن الفوائد: عظم مقدار الصدق، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]»(٢).

وتأمل قصة ذلك الأعرابي ذي القلب الطاهر وثمرة صدقه مع الله تعالى حين جاء لنبي الله ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه. فلما كانت غزوة خيبر، وغنم النبي ﷺ سبيًا، فقسم وقسم للأعرابي، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاءوه دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: قِسْمٌ قَسَمَه لك النبي ﷺ. فأخذه، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: **«قسمته لك»**، قال: ما على هذا تبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هٰهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة. فقال: **«إن تصدق الله يصدقك»**، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار. فقال النبي ﷺ: **«أهو هو؟»** قالوا: نعم. قال: **«صدق الله فصدقه»**، ثم كفنه النبي ﷺ، فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته

---

(١) متفق عليه.

(٢) زاد المعاد، ابن القيم (٣/ ٥٩٠).

«اللّهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك، فقتل شهيدًا، أنا شهيدٌ على ذلك»(١).

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث، من إذا حدثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفّى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم»(٢).

وقال جعفر الصادق: «الصدق هو المجاهدة، وألا تختار على الله غيره، كما لم يختر عليك غيرك، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]»(٣).

وقال الجنيد: «حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب»(٤). قلت: أي فيما يظهر لغير البصير. وقال يوسف بن أسباط: «لأن أبيت ليلة أُعاملُ الله بالصدق أحبُّ إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله». وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرّك، فإنه ينفعك. ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك، فإنه يضرك(٥).

وقال ابن القيم: «قال شيخنا ـ أي ابن تيمية ـ: والصدّيق أكمل من المحدَّث؛

(١) النسائي (١٩٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤١٥).
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٩).
(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦٩٨).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).
(٥) السابق (٢/ ٢٩٠).



لأنه استغنى بكمال صديقيته عن التحدث والإلهام والكشف. فإنه قد سلّم قلبه كله وسرّه وظاهره وباطنه للرسول ﷺ، فإن وافقه قبله، وإلا رده. قال: وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي عن ربي، فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال: عن ربي كان مسندًا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به. وهذا كذب»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله في كلامه على منزلة الصدق: «وهي منزلة القوم العظمى التي منها تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسِرْ عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تُرَدَّ صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحكّ الأحوال(٢) والحامل على

(١) التفسير القيم، ابن القيم (١/ ٣٥).

(٢) قال السهروردي في عوارف المعارف في الفرق بين الحال والمقام: «فالحال سمي حالاً لتحوله، والمقام مقامًا لثبوته واستقراره» (٢١٢٧). ملحق بإحياء العلوم. وقصد الإمام ابن القيم رحمه الله بهذا اللفظ مجموع أقوال وأعمال القلب والجوارح، والله أعلم. والخلل عند كثير من المتصوفة أنهم أحالوا الحال على الذوق والوجد لا العلم والوحي.

قال ابن القيم: «وسير أولياء الله وعباده الأبرار والمقربين هو إحالة الحال على العلم، وتحكيمه عليه وتقديمه، ووزنه به وقبول حكمه، فإن وافقه العلم وإلا كان حالاً فاسدًا، منحرفًا عن أحوال الصادقين بحسب بُعده عن العلم، فالعلم حاكم =



اقتحام الأهوال، والباب الذي منه دخل الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين.

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب؛ فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مراتب المكلفين في الدار الآخرة، وطبقاتهم(٢) فيها بعد ذكره لأولي العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الأنبياء، قال: «الطبقة الرابعة: ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم، وهم القائمون بما بُعثوا به علمًا وعملاً ودعوة للخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم. وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة، وهي مرتبة الصديقية.

= والحال محكوم عليه، فمن لم يكن هذا أصل بناء سلوكه فسلوكه فاسد، وغايته الانسلاخ من العلم والدين، كما جرى ذلك لمن جرى له، والله المستعان». المدارج (٣٨/٣).

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥ـ ٧) باختصار.

(٢) وهم ثمان عشرة طبقة ذكرها في طريق الهجرتين، أما ابن حزم فذكر عشر طبقات فقط.



ولهذا قرنهم الله تعالى في كتابه بالأنبياء فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، فجعل درجة الصديقية تلي درجة النبوة، وهؤلاء هم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول ﷺ وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحَمَلَةُ دينه، وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق، لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩] ومرتبة الصديقية فوق مرتبة الشهداء، ولهذا قدمهم عليهم في الآيتين؛ هنا وفي سورة النساء. وهكذا جاء ذكرهم مقدمًا على الشهداء في كلام النبي ﷺ في قوله: «**اثبت أُحُد، فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان**»(١). ولهذا كان نعت الصديقية وصفًا لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وهو أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، ولو كان بعد النبوة درجة أفضل من الصديقية لكانت نعتًا له رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ودرجة الصديقية والربانية ووراثة النبوة وخلافة الرسالة هي أفضل درجات الأمة، ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كلّ من علم بتعليمهم وإرشادهم أو علّم غيره شيئًا من ذلك كان لهم مثل أجره ما دام ذلك جاريًا في

(١) البخاري (٣٦٧٥) من حديث أنس رضي الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



الأمة على آباد الدهور[(١)]، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»[(٢)]، وقال: «**إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلّون على معلّم الناس الخير**»[(٣)]، وقال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء**»[(٤)].

والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا، وقد ذكرنا مئتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد[(٥)].

فيالها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلّها وأسناها، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة، وصحف حسناته متزايدة تملى فيها الحسنات كل وقت[(٦)]، وأعمال الخير مهداة

(١) العلماء بالله وبدين الله العاملون بما علموا هم داخلون دخولاً أوليًّا في الصديقية، ولكن لا يعني ذلك إخراج العوام الذين صلحت أعمالهم وخلصت نياتهم وصدقوا الله في دينهم.

(٢) مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الترمذي (٢٦٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. والطبراني (٧٩١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٨٣٨).

(٤) أحمد (٢١٧١٥) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٦٨٢)، واختلف في صحة سنده، وقد صححه ابن حبان والحاكم، وضعفه الترمذي والبغوي وابن عبد البر.

(٥) وللعلم باب مستقل يأتي إن شاء الله تعالى.

(٦) وقت توفي ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٥١) أي أن كتبه لها قرابة السبعمئة سنة وهي تُهدي له الحسنات، ولا نزكيه على الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.



إليه من حيث لا يحتسب. تلك والله المكارم والغنائم! وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويستبق السابقون إليها، وتوفّر عليها الأوقات، وتتوجه نحوها الطلبات»(١).

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير حفظه الله تعالى: «منزلة الصديقية منزلة لا يبلغها إلا القليل النادر من الناس، ولم يشتهر بذلك إلا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والسبب في ذلك القصة المعروفة»(٢).

وفي شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «والصديقية تجيء عن محض التصديق، أي: أن يصدق ما أخبر به من قبل الله جل وعلا ورسوله ﷺ، فلا يُسمى صديقًا ولا يرتقي مرتبة الصديقية إلا إذا صدّق تصديقًا محضًا بكل ما أتاه من الله جل وعلا ومن رسول الله ﷺ، ولسان حاله يقول: آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله ﷺ، وأروع الأمثلة على تحقيق الصديقية أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد حقق معانيها ظاهرًا وباطنًا. فأول مراتبها التي حققها: التصديق بكل ما جاء عن

---

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٧٦٤-٧٧١) باختصار.

(٢) شرح المحرر في الحديث، د. عبد الكريم الخضير (١٩/ ٦٣) ومراده حديث الإسراء وخبر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه.

(٣) للشيخ محمد حسن عبد الغفار.

الله وعن رسوله ﷺ، والثانية: أن يصدق قوله فعله. والثالثة: أن يصدق ظاهره باطنه. والرابعة والخامسة: التصديق بموعود الله في الدنيا والآخرة.

وقد حقق الصديق تلك المراتب بقوله لمن جاءه من قريش يخبرونه بما قاله لهم رسول الله ﷺ ليلة الإسراء: إن كان قال ذلك فقد صدق، والله إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدقه في خبر السماء. وفي صلح الحديبية كانت صديقيته حاضرة، وهذه الحادثة تبين لك أن مرتبة الصديقية أعلى من مرتبة الإلهام، فبينهما مفاوز، واعتبر ذلك بحال أبي بكر الصديق وعمر المحدث الملهم.

فقد قال أبو بكر لعمر لما راجعه في أمر صلح الحديبية فيكشف له أو يعينه؛ فقال له الصديق عين ما قاله رسول الله ﷺ لفظًا ومعنىً، وحين مات نبي الله صلوات الله وسلامه عليه قام الصديق قومته المسدّدة، وفاء الناس بعد خطبته إلى الحق، وأخذوا الآية من فيه كأنما سمعوها لأول مرة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وفي خبر الحث على الصدقة حينما تصدق بكل ماله، وأجاب رسول الله ﷺ حينما سأله: **«ماذا أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله. وحينما ارتدت العرب، ودخل الخوف أهل المدينة أنفذ جيش أسامة، وقال لمن راجعه: والله لو جرّت الكلاب أمهات المؤمنين لأنفذت جيش أسامة»(١).

(١) شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة، محمد حسن عبد الغفار (٢٩/ ٣)، وانظره كذلك =



وقد ذكر شيخ الإسلام فضل الصدق من عشرة أوجه وهي:

الأول: أن الإنسان حي ناطق، فالوصف المقوم له الفاصل له عن غيره من الدواب هو المنطق، والمنطق قسمان: خبر، وإنشاء. والخبر صحته بالصدق، وفساده بالكذب، فالكافر أسوأ حالاً من البهيمة(١).

الثاني: أن الصفة المميزة بين النبي والمتنبئ هي الصدق والكذب؛ فإن محمدًا رسول الله الصادق الأمين، ومسيلمة الكذاب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣].

الثالث: أن الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هي الصدق، فإن أساس النفاق الذي بُني عليه الكذب، وعلى كل خلق يُطبع المؤمن ليس الخيانة والكذب، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه كان منافقًا؛ إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٢).

الرابع: أن الصدق هو أصل البر، والكذب أصل الفجور. قال ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر...**» الحديث(٣).

=

في: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٥/ ٢٨).

(١) لأن البهائم لا تكذب.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.



الخامس: أن الصادق تنزل عليه الملائكة، والكاذب تنزل عليه الشياطين، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

السادس: أن الفارق بين الصديقين والشهداء والصالحين، وبين المتشبه بهم من المرائين والمسمّعين والملبّسين هو الصدق والكذب.

السابع: أنه مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين. قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]، ولهذا قال ﷺ: **«عدلت شهادة الزور الإشراك بالله مرتين»**، وقرأ هذه الآية[١]. وقال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»** وكان متكئًا فجلس فقال: **«ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور»** فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[٢].

الثامن: أنه ركن الشهادة الخاصة عند الحكّام، وركن الشهادة العامة في جميع الأمور، وركن الإقرار الذي هو شهادة المرء على نفسه، وركن الأحاديث والأخبار التي بها يقوم الإسلام، بل هي ركن النبوة والرسالة، التي هي واسطة بين الله وبين خلقه، وركن الفتيا التي هي إخبار المفتي بحكم الله، وركن المعاملات، وركن الرؤيا التي قال فيها ﷺ: **«أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثًا»**[٣]،

---

(١) الترمذي (٢٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٠٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذي (٢٢٧٠)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني.



والتي يؤتمن فيها الرجل على ما رأى.

التاسع: أن الصدق والكذب هو المميز بين المؤمن والمنافق(١).

العاشر: أن المشايخ العارفين اتفقوا على أن أساس الطريق إلى الله هو الصدق والإخلاص كما جمع الله بينهما في قوله: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١](٢).

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في شأن الصدق: «صدق اللهجة: عنوان الوقار، وشرف النفس، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورُجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة، ولهذا كان فرض عين، فيا خيبة من فرّط فيه، ومن فعل فقد مس نفسه وعلمه بأذى.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: تعلّم الصدق قبل أن تتكلّم العلم.

وقال وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الصنعة(٣) لا يرتفع فيها إلا صادق.

والصدق: إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد. أما نقيضه الكذب فضروب وألوان، ومسالك وأودية يجمعها ثلاثة:

---

(١) وقد مرّ هذا في الثالث، وعليه فهي تسعة.

(٢) فالصدق تضمنته الآية الأولى، والإخلاص الثانية. الفتاوى (٢٠/ ٧٤-٧٨).

(٣) أي طلب العلم.



١ـ كذب المتملّق: وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملّق لمن يعرفه فاسقًا أو مبتدعًا فيصفه بالاستقامة.

٢ـ كذب المنافق: وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع، كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية.

٣ـ كذب الغبيّ: بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد، كمن يعتقد صلاح صوفي مبتدع فيصفه بالولاية.

فالزم الجادّة «الصدق» فلا تضغط على عَكَدِ اللسان، ولا تضم شفتيك، ولا تفتح فاك ناطقًا إلا على حروف تُعبّر عن إحساسك الصادق في الباطن؛ كالحب والبغض، أو إحساسك في الظاهر، كالذي تدركه الحواس الخمس.

واحذر أن تحوم حولك الظنون، فتخونك العزيمة في صدق اللهجة، فتُسجّل في قائمة الكذابين. وطريق الضمانة لهذا، إذا نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه؛ أن تقهرها بذكر منزلة الصدق وشرفه، ورذيلة الكذب ودركه، وأن الكاذب عن قريب ينكشف، واستعن بالله ولا تعجزن.

ولا تفتح لنفسك سابلة المعاريض في غير ما حصره الشرع. فيا طالب العلم! احذر أن تمرق من الصدق إلى المعاريض فالكذب، وأسوأ مرامي هذا المروق؛ الكذب في العلم لداء منافسة الأقران، وطيران السمعة في الآفاق. ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته؛ فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة، وأقلامًا ناقدة، فيزنون السُّمعة بالأثر، فتتم تعريتك على ثلاثة معان: فقد الثقة في

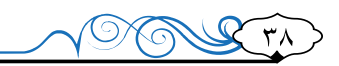




القلوب، وذهاب عملك وانحسار القبول، وألا تُصدّق ولو صدقت. وبالجملة؛ فمن يحترف زخرف القول، فهو أخو الساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى»(١).

(١) حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، بشرح العلامة العثيمين رحمهما الله (١٣٦-١٤٣) بتصرف يسير.





دواعي الصدق

«أولاً: العقل السليم: فإن العقل الصحيح يدفع إلى الصدق.

ثانيًا: الشرع المؤكد: فالصدق واجب والكذب حرام.

ثالثًا: المروءة. فهي خلق مانع من الأخلاق المشينة كالكذب.

رابعًا: حب الاشتهار بالصدق.

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به إن اللسان لما عودت معتادُ»(١)

هذا وبعض أهل العلم يسمي أمورًا ويصفها بالصدق المذموم، ويمثلون على ذلك بصدق المغتاب، والنمام، والواشي الذي يسعى لضرر الناس، وتصديق الكهنة والعرافين، وأمراء السوء(٢). وفي هذا نظر؛ فالصدق خير كله، وهذه

---

(٢) كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه بسند صحيح عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعيذك يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشى أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، ولا يرد علي الحوض»**، أما حديث تصديق الكهنة والعرافين فهو قوله عليه الصلاة والسلام: **«من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»** رواه أهل السنن وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤٧).



الأمور المذكور إنما حرّمت لعلل أخرى غير الصدق، فالغيبة للأذى والاعتداء، كذلك النميمة والوشاية، أما تصديق الأمراء الكذبة فالظاهر أن المقصود مداهنتهم في باطلهم مع علم المداهن بكذبهم، فهو من تصديق الظاهر المخالف لحقيقة الأمر، فهو كذب في الحقيقة وإن سُمي تصديقًا في الظاهر، أما تصديق الكهان فالمراد إقرارهم على دجلهم بعلمهم الغيب، أو حتى مجرد تصديق تلك الأحوال والأخبار الشيطانية، فهو من تصديق الشياطين المخالف للصدق في حقيقة الأمر. والله أعلم، والعبرة بالحقائق والمعاني لا الألفاظ والمباني. والله أعلم.

❁❁❁❁



حذر السلف من الكذب

حضرت الوفاة عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقال: إنه كان خطب إلي ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبه الوعد، وأخاف أن ألقى الله بثلث النفاق[١]، أشهدكم أني زوجته.

ولما خرج البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ يطلب الحديث من رجل فرآه يشير إلى دابته برداء كأن فيه شعيرًا وليس فيه شيء؛ رجع، وقال: لا آخذ الحديث عمن يكذب على البهائم.

وقال الأحنف: ما كذبت من يوم أسلمت إلا مرة واحدة بل كان السلف يتورعون فيها ويدققون، ولمّا لقي الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ بعض أصحابه فقال: كيف حال أولادك؟ فقال الرجل: يقبّلون يديك. فقال الإمام أحمد: لا تكذب.

وكان بعضهم ينهى بعضًا عنه، وقال أحدهم لولده: يا بني! احذر الكذب، فإنه شر كلحم العصفور، من أكل منه شيئًا لم يصبر عنه. وقال آخر: من استحلى رضاع الكذب عسر عليه الفطام[٢].

ويكفي في الكذب أنه شعار المنافقين ودثار الجبناء وآخيّة الخذلان.

جعلنا الله من أهل ذكره وشكره وحسن عبادته، وصلى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

---

(١) لذكره في الحديث ثالث ثلاثة مع الكذب والخيانة.

(٢) السابق (٢٨٤/ ٣٤، ٣٥).



وقفة تأمل

قال تاج الواعظين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله تعالى:

«يا من أيام عمره في حياته معدودة! وجسمه بعد مماته مع دودة!

رأيتُكَ في النقصان مُذْ أنت في المهد | تقرِّبُك الساعاتُ من ساعة اللحد
ستضحكُ سنٌّ بعد عينٍ تعصَّرتْ | عليكَ، وإن قالت: بكيتُ من الوجدِ
أتطمحُ أن يُشجَى لفقدك فاقدٌ | لعلّ سرورَ الفاقدين مع الفقدِ

يا من عمره يمضي بالساعة والساعة، يا كثير التفريط في قليل البضاعة، يا شديدالإسراف، يا قوي الإضاعة. كأني بك عن قليل تُرمى في جوف قاعة، مسلوبًا لباس القدرة وبأس الاستطاعة، وجاء منكر ونكير في أفظع الفظاعة، وأمسيتَ تجني ثمار هذي الزراعة، وتمنيتَ لو قدرت على لحظةٍ لطاعة، وقلت: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] يا متخلفًا عن أقرانه قد آن أن تلحق الجماعة.

يا ساهيًا لاهيًا عما يراد به | آن الرحيل وما قدمت من زاد
ترجو البقاء صحيحًا سالمًا أبدًا | هيهات أنت غدًا فيمن غدا غاد

مركب الحياة تجري في بحر البدن برُخاء الأنفاس، ولابد من عاصفٍ قاصفٍ تفككه وتغرق الركاب.

حكم المنيّةِ في البريّة جارِ | ما هذه الدنيا بدار قرارِ
جُبلت على كدرٍ وأنت تُريدُها | صفوًا من الأقذارِ والأكدارِ
فاقضوا مآربكم عجالاً إنما | أعماركم سفرٌ من الأسفارِ

يا لُقَمَ الآجال! أما تسمعون صريفَ(١) أنياب الصروف؟ كم غافلٍ وأكفانهُ عند القصّار ولِبْنُ قبره قد ضُرب.

يا سُخنةَ عينٍ(٢) قرّت بالغرور، يا خرابَ قلبٍ عُمِّرَ بالمُنى، العمرُ زاد في بادية، يؤخذ منه، ولا يُطرح فيه.

يا من أجله يذوب ذوبان الثلج! توانيك أبرد. كان بعض من يبيع الثلج ينادي: ارحموا من يذوب رأس ماله.

يا مؤخرًا توبته حتى شاب، خرج وقت الاختيار، قد أُمهل المُتقاضي، البدارَ البدارَ فنقّاضُ البدنِ قد عرقبَ(٣) الأساس.

ولم يبق من أيام جمعٍ إلى منىً ... إلى موقف التجمير غير أماني

بادر بالتوبة من هفواتك قبل فواتك، فالمنايا بالنفوس فواتك.

أعجب خلائق الخلائق، محسنٌ في ليل شبابه، فلما لاح الفجرُ فَجَر!

يا هذا! عقلك يحثُّكَ على التوبة وهواك يمنع، والحرب بينهما، فلو جهزت جيش العزم فرّ العدو. تنوي قيام الليل فتنام! تحضر مجالس الذكر فلا تبكي! ثم تقول: ما السبب؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] عصيتَ بالنهار؛

---

(١) الصريف: صوت ناب البعير. ويسمى عند العامة ضريس، والصروف من الدهر: نوائبه ودواهيه.

(٢) سخنة عين: ضد قرّها، أي تعاستها وشقاؤها.

(٣) عرقب الدابة: قطع عرقوبها.



فنمت بالليل(١)، أكلت الحرام؛ فأظلم القلب، فلما فُتح باب الوصول للمقبولين؛ طُردت.

أين أنت من أقوام كُشفت عن أبصار بصائرهم أغطية الجهل؟ فلاحت لهم الجادّةُ، فجدّوا في السلوك.

كان مسروق يصلي حتى تتورم قدماه، فتقعد امرأته تبكي مما تراه يصنع بنفسه.

أُحْصِرَ القومُ في سبيل المحبة(٢) فأقعدتهم عن كل مطلوب ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

في البداءة إنفاق البدن، وفي المتوسط إنفاق النفس، فإذا نزل ضيف المحبة تناول القلب، فأملق المنفق»(٣).



(١) لما شكى بعض أصحاب ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثقل قيام الليل، قال: قيدتكم خطاياكم.

(٢) مع الخوف والرجاء.

(٣) المدهش، ابن الجوزي (٢/ ٥٣٠-٥٣٣) باختصار.





موسوعة

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١) مقدّمات في أقوال وأعمال القلوب
٢) التوحيد والإخلاص
٣) العبودية
٤) الصدق مع الله تعالى
٥) محبّةُ الله تعالى
٦) الشّوقُ إلى الله تعالى
٧) الأُنسُ بالله تعالى
٨) الإرادة
٩) العزم
١٠) الرّجاء
١١) الرّغبة
١٢) التّوكّلُ على الله تعالى
١٣) حُسنُ الظّنّ بالله تعالى
١٤) الثقةُ بالله تعالى
١٥) الافتقارُ إلى الله تعالى
١٦) الاستغناءُ بالله تعالى
١٧) التعلُّقُ بالله تعالى
١٨) الالتجاءُ إلى الله تعالى
١٩) الاعتصامُ بالله تعالى
٢٠) سلامةُ الصّدر
٢١) العفاف
٢٢) الصَّبر
٢٣) الرّضا
٢٤) ...

الصف والتنسيق والإخراج الفني
خالد محمد جاب الله
مكة المكرمة ـ جوال: 0502543917